إذا ارتحل الكرام اليك يوما ليلتمسوك حالا بعد حال فان رحالنا حطت رضاء بحكمك عن حلول وارتحال فسسنا كيف شئت ولا تكلنا إلى تدبيرنا ياذا المعالي وعلى هذا درج العاشقون إذا اشتد بهم الحال فزعوا إلى الملك المتعال ومن ذلك إلى ا أشكو مالقيت من الهجر ومن كثرة البلوى ومن ألم الصبر ومن حرق بين الجوانح والحشا كجمر الغضا لابل أحر من الجمر وقد يقال : إنه عليه السلام إنما رفع قصة شكواه إلى عالم سره ونجواه استرواحا مما يجده بتلك المناجاة كما قيل : إذا ما تمنى الناس روحا وراحة تمنيت أن أشكو اليه فيسمع يابني اذهبوفتحسسوا من يوسف وأخيه كأنه عليه السلام تنسم نسائم الفرج بعد أن رفع الأمر إلى مولاه D فقال ذلك : ولا تيأسوا من روح ا من رحمته بارجاعهما إلي أو من رحمته تعالى بتوفيق يوسف عليه السلام برفع خجالتكم إذا وجدتموه قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر أرادوا ضر المجاعة ولو أنهم علموا وأنصفوا لقصدوا ضر فراقك فانه قد أضر بأبيهم وبهم وبأهلهم لو يعلمون .

كفى حزنا بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا وأعلم أن فيما قاله إخوة يوسف له عليه السلام من هنا إلى المتصدقين تعليم آداب الدعاء والرجوع إلى الأكابر ومخاطبة السادات فمن لم يرجع إلى باب سيده بالذلة والافتقار وتذليل النفس وتصغير مايبدو منها ويرأن ما من سيده اليه على طريق الصدفة والفضل لا على طريق الاستحقاق كان معبدا مطرودا وينبغي لعشاق جمال القدم إذا دخلوا الحضرة أن يقولوا : ياأيها العزيز مسنا وأهلنا من ضر فراقك والبعد عن ساحة وصالك مالايحتمله الصم الصلاب .

خليلي ماألقاه في الحب إن يدم على صخرة صماء ينفلق الصخر ويقولوا : جئنا ببضاعة مزجاة من أعمال معلولة وأفعال مغشوشة ومعرفة قليلة لم تحط بذرة من أنوار عظمتك وكل ذلك لايليق بكمال عزتك وجلال صمديتك فأوف لنا كيل قربك من بيادر جودك وفضلك وتصدق علينا بنعم مشاهدتك فانه إذا عومل المخلوق بما عومل فمعاملة الخالق بذلك أولى قالوا أئنك لأنت يوسف خاطبوه بعد المعرفة بخطاب المودة لابخطاب التكلف وفيه من حسن الظن فيه عليه السلام مافيه .

إذا صفت المودة بين قوم ودام ولاؤهم سمج الثناء ويمكن أن يقال : إنهم لما عرفوه سقطت عنهم الهيبة وهاجت الحمية فلم يكلموه على النمط الأول وقوله : قال أنا يوسف وهذا أخي جواب لهم لكن زيادة وهذا أخي قيل : لتهوين حال بديهة الخجل وقيل : للإشارة إلى أن اخوتهم لاتعد إخوة لأن الاخوة الصحيحة مالم يكن فيها جفاء ثم أنه عليه السلام لما رأى